الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداني بعابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٩٢ / ٥٩٧٦٩٩

العدد ٢٧٨ — الثلاثاء ٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — ٢٥ من أبريل سنة ١٩٤٤ — السنة السادسة

فهرس العدد

البترول في الشرق الأوسط

كنا نعلم منذ زمن أن في الشرق الأوسط بترولا ، وآباراً عظيمة تدر ملايين القناطير من هذا السائل العجيب ، بعضها في إيران ، وبعضها في العراق ، بل وبعضها في مصر كنانة الله ، سبحانه وتعالى ، في أرضه . أجل كنا نعلم هذا ، ونحمد هذا العلم ، لأن تلك الآبار قد جعلتنا — من الناحية البترولية — أثناء هذه الحرب العالمية في حال أرفه وأكرم مما كنا في الحرب الماضية . ولكنا ، مع علمنا هذا ، لم نكن في الأيام الخالية ، نفكر كثيراً في بترول الشرق الأوسط ، لأننا ألفنا وجوده ، وشغلنا عنه من شئون هذه الحرب ، ما هو أجل خطراً وأعظم إزعاجاً للخاطر . ثم اضطررنا في الأشهر — بل في الأسابيع — الأخيرة أن نلتفت مرة أخرى إلى بترول الشرق الأوسط وإلى التحدث عن بتروله وأنابيبه وآباره . فإن الشرق الأوسط هو شرقنا ووطننا ، وتلك الأنابيب ستخترق دياراً وأقطاراً اشتهر ذكرها في التاريخ العربية ، وترددت أسماؤها في حديث الأدب العربي منثوره ومنظومه . فما أجدرنا نحن أيضاً أن نقف لحظة لكي نلقي بنظرنا على موضوع البترول هذا ، الذي أخشى أن يكون اليوم شاغلا لتفكير أولي الأمر في بريطانيا وأمريكا ، أكثر مما يشغلنا نحن أبناء الشرق الأوسط .

وفي لندن اليوم وفد أمريكي عظيم على رأسه نائب رئيس دولتها ؛ يتحدث مع أولي الأمر هناك في شئون عديدة ، ليس أقلها خطراً شئون الشرق الأوسط عامة وشأن البترول بوجه خاص .

فإن أمريكا تبدي اهتماماً عظيماً بالشرق الأوسط ، كما ذكرت في حديثي الماضي . ومن أهم ما تعنى به مسألة

البترول . ولابد لي أن أحاول إيضاح طبيعة هذا الاهتمام ، والظروف المختلفة التي تحيط به .

وأول ما يذكر به القارئ من شئون البترول ، أن إنتاج هذه المادة الخطيرة متركز في أيد قليلة ، وتشرف عليه هيئات محدودة ؛ وقبيل هذه الحرب كانت رعايا الولايات المتحدة تستخرج ٦١ ٪ من مجموع بترول العالم من أرض الولايات المتحدة ، وتستخرج ٩ ٪ من أراض أجنبية ، فيكون مجموع إنتاجها ٧١ ٪ من بترول العالم . تليها المصالح البريطانية الهولندية ، (وقد اتحدت هذه المصالح منذ الحرب الماضية) ومجموع ما تنتجه يعادل ١٥ ½ ٪ ؛ وروسيا ١١ ٪ ؛ وباقي الدول : ٪ .

الأمر الثاني ، الذي لا بد أن نذكره ، هو أن نميز بين موارد البترول وإنتاج البترول . فإن الإنتاج إنفاق واستهلاك وتبديد ؛ أما الموارد فهي المخزون المدخر في الخزائن الباطنية . وقد لا يكون هناك تلازم بين الموارد المودعة في باطن الأرض وبين المستخرج منها كل عام . ومن المسلم به بوجه عام أن المصالح الأمريكية قد أسرفت في استخراج البترول ، بينما المصالح البريطانية الهولندية ، تستخرج باعتدال وتدبير ، قد يوصف بأنه تقتير . وتحت تصرف البريطانيين ، كما سنرى ، موارد عظيمة للبترول في الشرق الأوسط لم تمس إلى اليوم ؛ وقد أدى هذا التدبير إلى قيام شيء من سوء التفاهم بين حكومة الشاه في إيران وبين شركة البترول الإيرانية البريطانية ، عام ١٩٣٢ ، لأن هذا التقتير في الإنتاج كان معناه أن يقلل نصيب الحكومة من المال ، الذي يدفع لها سنويا عن استخراج البترول ، بعد أن تكون الدولة قد نظمت مواردها ومشاريعها الاقتصادية والإصلاحية على أساس دخل ثابت يجبيها من تلك الشركة .

وقد رأى كثير من الأمريكيين هذا الفرق الكبير بين وسائل الاستغلال الأمريكي والبريطاني ، فأخذوا ينادون بأن موارد البترول في أمريكا وشيكة النفاد ، وأن لا بد للمصالح الأمريكية من إحراز موارد جديدة في أقطار جديدة . تعالت هذه الصيحات بعد الحرب الماضية ، وترددت على مر السنين من غير انقطاع ، ثم عادت فاشتدت مرة أخرى إبان هذه الحرب ، التي تنفد فيها موارد البترول بسرعة لم يسبق لها مثيل .

الأمر الثالث الذي يسترعي انتباهنا هو الاختلاف الكبير بين الموارد الأمريكية والبريطانية ، فإن الشركات الأمريكية تستخرج أكثر بترولها من أراضي الولايات المتحدة ، فمواردها والحالة هذه في متناول يدها ، أما الجزر البريطانية — بل وأكثر الممتلكات المستقلة — فخالية تماما من البترول . والموارد التي تملكها الشركات البريطانية موزعة في أرجاء العالم ، بعضها في أمريكا ، وبعضها في إيران والعراق ، وبعضها في جزر الهند الشرقية ، التابعة لهولنده ، وبعضها في رومانيا ، أي أنها واقعة في أكثر الأحيان في أقطار خاضعة لسيادة أجنبية ، ومهما كان لبريطانيا في تلك الأقطار من نفوذ أدبي أو سياسي ، فإن الشركات تدفع مبلغا من المال لا يستهان به لحكومات تلك البلاد نظير استغلال البترول فيها . وفوق ذلك فإن وجود هذه الموارد بعيدا بآلاف الأميال عن أرض بريطانيا ، يجعل استيراد البترول أمرا كبير التكلفة ، وفي وقت الحرب محفوفا بالأخطار .

الأمر الرابع الذي يهمنا ذكره عن البترول ، أن المصالح الأمريكية كلها في أيدي شركات مستقلة ، وليس للحكومة سلطان عليها ؛ وهذه الشركات يبلغ عددها اليوم زهاء الستين شركة ، وكانت فيما مضى مركزة في عدد قليل منها ، أهمها من غير شك شركة ستاندرد ، التي أوشكت في وقت من الأوقات أن تكون المهيمنة المسيطرة على إنتاج البترول في أمريكا كلها ؛ ثم صدر أمر الحكومة الأمريكية بتجزئة هذه الشركة إلى أجزاء عديدة تزيد على

الثلاثين ، وكلها قد تحمل اسم ستاندرد ، ولكن كلا منها منفصل عن الآخر تمام الانفصال .

أما الشركات البريطانية فإن أكثرها شديد الاتصال بشركة شل ؛ وتسيطر على شركة شل وجميع الشركات الأخرى الحكومة البريطانية نفسها ، فإن لها ممثلين في مجلس إدارة كل شركة من الشركات ، وذلك طبقاً لسياسة وضعتها الحكومة البريطانية منذ عام ١٩٢٢ ، عندما اتضح لها أن إنتاج البترول أمر له من الخطر ، ومن المساس بكيان الدولة ، ما يجعل من اللازم أن يجعل تحت عين الدولة وبصرها ، وأن يكون لها في شئونه الكلمة النافذة . أضف إلى هذا أن الشركات البريطانية تعمل في أقطار أجنبية ، في أكثر الأحيان ، ولا بد لها من آن لآن أن تحتاج إلى مساعدة الدولة . على أن الحكومة البريطانية لم تحاول أن تتدخل في شئون هذه الشركات إلا بأيسر قدر تتطلبه الظروف والأحوال . ولا شك أن سياسة الاعتدال في الاستغلال ، وتدبير موارد البترول في بعض الجهات ، بحيث لا يستنفد إلا ببطء شديد ، التي تسير عليها الشركات البريطانية ، هي بعض نتائج هذا الاتصال بالسلطات الحكومية .

ولا بد لنا أن نذكر أن الشركات الأمريكية أكبر عدداً من البريطانية ، وبرغم عددها الكبير فإنها تمثل مصالح مالية واقتصادية كبيرة ؛ ولهذا لم يكن بد من أن تكون لها كلمة قوية ونفوذ لا يستهان به في دوائر الحكومة الأمريكية . فبعض هذه الشركات يقدر رأس ماله بنحو مائة مليون من الجنيهات ، ودخله السنوي ببضعة ملايين . وذلك في بلاد يقال عنها إن الدينار يعبد فيها من دون الآلهة جميعاً ، وإن القيم كلها تخضع للمقياس النقدي دون سواه من المقاييس .

هذه هي الاعتبارات الأربعة التي لا بد للقارئ أن يستوعبها لكي يدرك الأسس التي تبنى عليها سياسة البترول في الشرق الأوسط . ولم نرد هنا أن نذكر ما للبترول من عظيم الخطر في الاقتصاد القومي والحربي ، ولكيان الدول الكبيرة ، فقد سبق أن عولج هذا الموضوع في « الثقافة » مراراً .

ونريد الآن أن ننتقل إلى النظر في بترول الشرق الأوسط ، وسيجد القارئ هنا خريطة ، مستقاة من صحيفة أمريكية ، توضح كثيراً من الأنباء والإشارات التي كثر ورودها في الصحف أخيراً عن مشروعات البترول .



تقوم باستغلال البترول في الشرق الأوسط — كما هو واضح مما تقدم — شركات بريطانية وأمريكية ، وهناك كذلك بعض مصالح أخرى أقل خطراً . ولا تقوم حكومات البلاد الأصلية لا بالبحث عن البترول ، ولا باستخراجه ، ولا بتكريره أو بيعه ، لأن الشركات التي تقوم بهذا ذات رأس مال ضخم ، ولديها من التجارب والدراية الفنية ما يجعلها أقدر على القيام بهذا الأمر من أية حكومة . والذي تفعله الحكومات هو أن تمنح شركة من الشركات امتيازاً دون سواها باستخراج البترول في مساحة من الأرض واسعة الأرجاء ، في مقابل مبلغ من المال تقدمه الشركة للحكومة ؛ وهذا المبلغ يتقرر عادة بالنسبة إلى كل طن من

النفط يستخرج من الأرض . وقد يكون هذا المبلغ زهاء نصف دينار لكل طن . وإذا استغل البترول استغلالا حسنا ، استوفت الحكومة على مبلغ لا يستهان به من المال . ونذكر هنا على سبيل المثال أن حكومة العراق قد بلغ إيرادها من البترول عام ٣٩/١٩٤٠ مليونين وخمسين ألفا من الدنانير . وأمكن للحكومة في تلك السنة أن تستدين من شركة البترول مليونا آخر بغير فائدة . ولو أن بريطانيا توسعت في إنتاج البترول في العراق لزاد إيراد الحكومة العراقية على هذا المبلغ كثيرا ؛ فإن في العراق ، وفي كثير من جهات الشرق الأوسط ، أقطارا واسعة قد منحت الشركات امتيازا لاستغلالها ، ولكن البترول فيها لا يزال قابعا إلى اليوم في باطن الأرض . وهذا الأمر ينطبق على الجزء الأكبر من أقطار الشرق الأوسط .

والنشاط البترولي في الشرق الأوسط ينقسم إلى أربعة أقسام ، بحسب الجهات التي يتصل بها والشركات التي تعمل في كل قسم منها ؛ وسنورد هذه الأقسام هنا على الترتيب الذي جاء في الخريطة المدرجة هنا :

فأولها الشركة العربية الأمريكية ، وهي تمثل مصلحة أمريكية خالصة ، ويتناول امتيازها جميع الأقطار الواقعة الممتدة من البحرين وخليج العجم إلى حدود العراق والحجاز واليمن وحضرموت وعمان ؛ وتشتمل على أقطار صحراوية وواحات ، وأكثرها واقع في المملكة العربية السعودية . ولم يستغل بعد من هذه المساحة العظيمة سوى جزر البحرين ، التي كانت فيما مضى تخرج اللؤلؤ والدر ، فأصبحت اليوم تخرج البترول أيضا . وهذه هي المنطقة التي أثارت الضجة حول خط الأنابيب الذي يخترقها من الخليج الفارسي إلى البحر المتوسط .

الإقليم الثـــاني : يشمل أرض العراق ، وهي ميدانه الرئيسي ، ولكن له فرعا في عمان والأقطار المجاورة لها . والمصالح صاحبة الامتياز فيه بريطانية بنسبة (٥٣ ٪) ، وأمريكية (٢٣¾ ٪) ، وفرنسية (٢٣¾ ٪) ، ولم يبدأ الاستغلال في كل هذه المساحة إلا في بلاد العراق الشمالية ، وتمتد منها أنابيب تحمل البترول إلى طرابلس وحيفا .

الإقليم الثالث : هو الحقل الإيراني العظيم ، وهو الذي تعمل فيه المصالح البريطانية وحدها ، وهو الذي يشتغل أكثر من أي إقليم آخر في الشرق الأوسط ، بل هو خامس جهات الإنتاج في العالم كله . والشركة الإيرانية البريطانية لا تريد أن يستغل البترول في الشرق الأوسط ، بحيث ينافسها ويعوق تقدمها .

الإقليم الرابع : الكويت ، والامتياز فيه مناصفة بين الشركة الإيرانية وبعض الشركات الأمريكية ، ولكن هذا الإقليم ، ورغم غناه في النفط ، لم يستغل بعد ، ولم يستخرج منه قطار واحد من البترول .

والشركات الأمريكية التي تعمل في الشرق الأوسط هي ثلاث شركات فقط ، وهذا يترك خمسا وخمسين شركة في الولايات المتحدة ، لا دخل لها في هذه المشاريع كلها ، ولذلك ثارت ضجة عندما قررت حكومة الولايات المتحدة أن تنشئ خطا من الأنابيب — بأموال الحكومة لا بأموال الشركات — طوله ألف ميل يمتد من الخليج الفارسي إلى البحر المتوسط ، وتبلغ نفقات إنشائه نحو مائتي مليون دولار ، فرأت تلك الشركات أن في هـذا تدخلا من الحكومة في شئون البترول ، ومحاباة لبعض الشركات ؛ وتهديدا لمصالح البترول المستخرج من الآبار الأمريكية . ولا تزال هذه الضجة قائمة ، حتى يقضي البرلمان الأمريكي رأيه فيها .

أما في بريطانيا ، فإن المحادثات التي تجرى هنالك اليوم ستتناول من غير شك مصالح البترول البريطانية ، ومبلغ التعاون بين المشروعات الأمريكية ؛ والنشاط البريطاني الموجود اليوم . وكذلك لا بد أن تكون هنالك اعتبارات خاصة عند مد أنابيب البترول في أراض مثل شرق الأردن وفلسطين ، وبينها وبين الإنجليز عهود ومواثيق .

محمد عوض محمد

حول التثقيف الشعبي والعدالة الاجتماعية :

ملاحظات

للدكتور أحمد عبد السلام الكرداني بك

تحدثت في الأسابيع الأخيرة المناقشات حول التعليم ، فقد أبدى الأستاذ محمد فريد أبو حديد رأيه في مستقبل الثقافة الشعبية ؛ وتحدث الدكتور طه حسين بك عن العدالة الاجتماعية ، وكيف يجب تحقيقها بوجه عام فيما يتصل بالضرائب ، وعرّج على صلتها بالتعليم . وأدلى غيرهما من أفاضل العلماء وكبار الكتاب بآرائهم في هذا الموضوع الجليل على صفحات « الأهرام » الغراء ، وعقّب بعضهم على ناحية التعليم بوجه خاص .

وقد كان من أهم ما ورد في حديث الأستاذ محمد فريد أبو حديد دفاع قوى حار عن توحيد المدرستين الأولية والابتدائية ، ذلك التوحيد الذى صدفت عنه وزارة المعارف مؤثرة إبقاء الحال على ما هو عليه الآن ، والاحتفاظ بالمدرستين الابتدائية والأولية (أو الإلزامية) قائمتين جنباً إلى جنب . وهذه المسألة على جانب عظيم من الأهمية ، ولذا تستحق أكبر عناية من الكتاب والمفكرين وقادة الرأى . ومن المصلحة القومية أن تناقش آراء الطرفين بشأنها ، لتتضح للأمة ميزات الخطتين وعيوبهما في الوقت الحاضر ونحن في مفترق الطرق ، حتى لا نسير في طريق ونتبين بعد زمن قليل أن الطريق الآخر كان خيراً منه ، فنتورط في الأول أو نغير نظمنا بشيء من الاضطراب لنتجه في الطريق الآخر المفضّل .

فأما أنصار إبقاء الحال على ما هو عليه والاحتفاظ بالمدرستين ، فيرون أن بالبلد نوعين من التعليم في المرحلة الأولى قائمين ومستقرين : الأول هو الابتدائي المؤدى إلى بقية درجات السلم التعليمي الموصل إلى أقصى الذروة ، والذى كان فيما مضى مقصوراً على الطبقتين الوسطى والعليا ، مع بعض شواذ قليل عددهم من رقيق الحال الذين كانوا يحوزون المجانية لتفوقهم ؛ والثاني هو الأولى الذى أعد للطبقة الدنيا من الشعب . وأولهما هو الذى يسير في طريق الرقى ، ويعتقد الكثير بنجاحه إلى حد ما ، فمن سوء التصرف أن نلغيه ونقضى عليه ، ونقيم على أطلاله مدارس لا نثق بأنه سيتوفر لها من النجاح ما توفر للمدارس المراد إلغاؤها .

ويقول هؤلاء الأنصار إن واجب الدولة بعد الاحتفاظ بالمدرستين جنبا إلى جنب أن تسعى للنهوض بهما معاً ، وتلافى عيوب كل منهما وتحسينهما حتى تكونا صالحتين للغرض الذى قصد منهما . وإن على الدولة أن تيسر التعليم في المدرسة الابتدائية وتجعله مجاناً للجميع ، لا فرق في ذلك بين الغنى والفقير ، وبين الريفي والحضرى ، وإن على الدولة أيضاً أن تجد المنافذ والممرات والدهاليز التي يستطيع الفرد الموهوب الذى التحق بالمدرسة الأولية ، وظهر نبوغه واستعداده لمواصلة الدراسة النظرية إلى أقصى حد ، أن ينفذ منها إلى المدرسة الابتدائية ويشق طريقه منها في السلم التعليمي مجاناً إلى الدراسة الثانوية فالعالية . فإذا قيل لهم إن تعلم اللغة الأجنبية في المدرسة الابتدائية وحدها كثيراً ما يقف حائلا دون انتقال الصبي من المدرسة الأولية إلى الابتدائية ، ردوا بأن هذه مسألة ثانوية لا يصعب إيجاد حل لها مع الاحتفاظ بتدريس اللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية .

وإذا قيل لهم إن هذا الوضع فيه حرمان للغالبية الكبرى من أبناء الأمة من التعليم الابتدائي الجيد ، ردوا على مناقشيهم بأن انتظروا وأفسحوا لنا في الوقت ، فإنا سنجعل لكم من المدرسة الأولية مدرسة ممتازة ، لعلها ستفوق في صلاحيتها وجودتها المدرسة الابتدائية ،

بل إن رواد هذه المدرسة فى المستقبل سيغبطون رواد المدرسة الأولية عليها ، ويتمنون لو كان قد أتيحت لهم من أول الأمر فرصة الالتحاق بها . وهم يرسمون الخطط لتحقيق ذلك عن طريق جعل التعليم بالمدارس الأولية عمليا ، أى ريفيا فى القرى وصناعيا فى المدن ، كما فعلت الأمم الراقية فى العالم .

وأما الفريق الثانى الذى يرى توحيد المدرستين ، فيقول بأن هذا التوحيد هو الإجراء الطبيعى العادل الذى أخذت به جميع دول العالم بغير استثناء ، والذى يعطى أبناء الدولة كلهم فرصاً متكافئة ، وأن وجود المدرستين فيما مضى كان يرجع إلى تقسيم الأمة إلى طبقات ، والرغبة فى إيجاد مدارس للخاصة وأخرى غيرها للعامة ، وأن الديمقراطية الحقة تتنافى مع أى إجراء كهذا ، وتحتم على كل أمة ديمقراطية أن تتخلص من وصمة هذا التفريق بين أفراد الأمة ، وأن تعود فورا إلى الأخذ بالمدرسة الواحدة [illegible] أفراد الأمة الواحدة تحقيقاً لمبادئ الديمقراطية .

وهم يقولون بأن هذا التوحيد لا يسبب اضطرابا ولا ينزل بمستوى المدارس الابتدائية ؛ فالذى يمر على المناهج الدراسية التى وضعت للمدارس الأولية لا يجدها تختلف عن مناهج المدارس الابتدائية إلا فى اللغة الأجنبية ، التى يقول جميع رجال التربية فى كل أنحاء العالم بوجوب حذفها من مناهج المرحلة التعليمية الأولى . وإذا اعتبر حذف اللغة الأجنبية إنزالا لمستوى التعليم الابتدائى ، فهلاّ نتحمل ذلك فى سبيل النهوض بالتعليم الأولى الفاشل ، الذى اعترف الجميع بأنه وصمة فى جبين الأمة ، وعار يجب أن نتخلص منه بأول فرصة؟!

ويعتقد هذا الفريق أنه ما دامت هناك مدارس للخاصة يدخلها أبناء الوزراء وكبار الموظفين والأعيان والمثالين ، فلا سبيل لتحسين المدرسة الأولية ، لأن هذه الفئة الراقية هى التى تحرك الرأى العام ، فإذا كان أبناؤها سيضطرون لدخول المدارس الأولية فإن أفرادها سيرفعون صوتهم عالياً ويضطرون الدولة للنهوض بهذه المدارس ، وجعلها فى مصاف مثيلاتها من المدارس فى جميع البلدان الراقية .

ويقول أنصار هذا الرأى إن أنصار الفريق الأول لو قالوا بتوحيد المدرستين على أساس إبقاء المدرسة الابتدائية وحدها وجعلها المدرسة العامة للجميع ، وإلغاء المدرسة الأولية التى ثبت فشلها وأخفقت إخفاقاً تاماً — لو نادوا بذلك كما نادى به الأستاذ القبانى — لحمدنا لهم ذلك ، ولكنهم يقولون أن تعميم التعليم الابتدائى غير ممكن من الوجهة المالية ، بل إن فيه إسرافا يحدو بنا إلى العدول عنه ، وإلى تركيز جهودنا الفكرية والمالية فى رفع مستوى المدارس الأولية وتعميمها ، فذلك هو الإجراء الطبيعى ، والحل المنطقى الممكن عمليا . وأما التماس الحل عن طريق المجانية وتعميم [illegible] المدارس الابتدائية فلن يحل المشكلة ، لضيق هذه المدارس عن أن تتسع لعشر من هم فى سنها من جهة ، ولأن اختيار هذا العشر على أساس الاستعداد غير ممكن لا بالامتحان ولا بغيره فى هذه السن المبكرة . بل إن هذا الإجراء سيؤدى إلى التجاء أبناء الطبقة الوسطى والعليا إلى المدارس الخاصة التى ستفتح لهذا الغرض ، وتكون بطبيعة الحال مدارس أجنبية ، فكأننا سنخلق فى مصر مدارس خاصة تحاول الأمم الديمقراطية فى الوقت الحاضر أن تتخلص من نظيراتها عندها .

وأما فكرة الممرات والدهاليز فيعتبرونها فكرة غير عملية ، ولو كانت صالحة لأخذت بها الأمم الأخرى التى تجعل نظمها مرنة إلى أقصى حد . وهب أنها عملية ، وأنه قد اكتشف عند تطبيقها فى المدارس الأولية تحتة فى المائة فقط من ذوى الاستعدادات الجيدة والمواهب العالية ، فهؤلاء إذا أردت إدخالهم إلى المدارس الابتدائية لم تجد

لم عـلات كافية ، فعددهم يبلغ نصف عدد المدارس الابتدائية الحالية ، فقبولهم يتطلب هو وحده إنشاء نصف العدد الحالي من المدارس الابتدائية ، فهل هذا من الممكن في الوقت الحاضر ؟

ويلاحظ أنصار التوحيد على ما قيل أخيراً ، من أن المدارس الأولية سيرتفع مستواها إلى حد يغبطها عليه رواد المدارس الابتدائية ، أنه إذا صح هذا فلِمَ نحرم فريقاً من الصبية (الذين في المدارس الابتدائية) من التمتع بهذه المزايا والالتحاق بتلك المدارس التي ستصل إلى ذلك المستوى الراقي المرموق ؟!

أليس من المصلحة عندئذ أن تكون هذه المدارس الأولية الجيدة مفتوحة للجميع ؟! ولعل أصحاب الرأي الأول يرون استبقاء المدرسة الابتدائية ريثما يتحقق هذا الأمل ، وهو إصلاح المدرسة الأولية إصلاحاً يوصلها إلى هذا المستوى العملي الجميل ؛ وعندئذ ينادون بالاكتفاء بها وبالعودة إلى إلغاء المدرسة الابتدائية . وإذا كان هذا هو ما يرونه فليبصر جوانبه ، وليبنوا سياستهم عليه ، وليلغوا اللغة الأجنبية منها ولو بالتدريج ، حتى إذا جاء وقت الإدماج كان هذا الإدماج ممكناً ، ولم يقف في سبيله عقبات تافهة كعقبة اللغة هذه .

ومن طريف ما في هذا النقاش الممتع ، أن أصحاب الرأي القائل باستبقاء المدرستين الأولية والابتدائية هم أكثر الناس تحمساً لتطبيق مبادئ العدالة الاجتماعية في المجتمع المصري بوجه عام ، وفي التعليم بوجه خاص ؛ فيتساءل أصحاب مبدأ توحيد المدرستين — وحق لهم التساؤل — أي النظريتين أقرب لتحقيق تلك العدالة الاجتماعية المطلوبة ؟

هل من العدالة الاجتماعية في شيء أن يصرف على كل فرد من أفراد فريق صغير من أبناء الدولة ٢٥ جنيهاً ، وعلى الفرد من الفريق الآخر الكثير جنيه أو اثنان فقط ؟

وهل من العدالة الاجتماعية في شيء ، أن يختص فريق من أبناء الأمة بتعليم ثبت فشله بصفة قاطعة ، ويختص الفريق الآخر بتعليم فيه ترف وإسراف ؟

وهل من العدالة الاجتماعية أن تهيأ الفرص لفريق صغير من أبناء الأمة أن يدخلوا مدارس توصل إلى جميع درجات السلم التعليمي ، ولو لم يكن عندهم الاستعداد الكافي له ، وتحشد الأغلبية الساحقة الغنية بذوي الكفايات في مدارس لا توصل إلى المراحل العليا من التعليم ، إلا عن طريق دهاليز وممرات لا تزال في عالم الغيب ، ولا يعلم إلا الله أين ستنشأ ، وعلى أي تصميم ستبنى ، ولأي عدد ستتسع ، وإلى أين ستوصل ؟ وقد رأيت فيما مضى أن المنافذ الحالية لا تتسع لمن يتقدم منها إذا كان نحو ٥ ٪ من مجموع تلاميذ المدارس الأولية ، وأن هذه النسبة القليلة تحتاج لإنشاء نصف عدد المدارس الابتدائية الحالية .

وأخيراً هل من العدالة الاجتماعية أن يحشد المدرسون الذين أعدوا إعداداً جيداً ، والذين تعلموا لغة أجنبية تمكنهم من الاطلاع على ما يجري في العالم كله ، وأن يختص بالأدوات الجيدة المريحة ، والكتب القيمة ، والمباني الفسيحة ، فريق واحد ؟ هل من العدالة أن يسخر كل ذلك لخدمة فئة قليلة من أبناء الأمة ، وتحرم الأغلبية العظمى منه ؛ إذ يلقى بها في تلك المدارس القذرة المكتظة المهملة القاتلة ؟

استمع عالم نابه لهذا الحوار ، فعلّق عليه بأن العدالة الاجتماعية النظرية هي من غير شك في جانب فريق التوحيد بين المدرستين ، ولكن إمكان التنفيذ عملياً في جانب الفريق الآخر . فسألوه إفصاحاً فقال : ماذا تفعلون بالمدارس الابتدائية وعن فيها من المدرسين ، إذا تقرر الإدماج والتوحيد بين المدرستين ؟

فأجابه القائلون بالتوحيد بما يأتي :

أما المدارس فيظل الصغير منها مدارس أولية ، ويحوّل الكبير منها مدارس ثانوية ، فستحتاج إلى كثير من هذه المدارس الثانوية بعد التوسع في التعليم ، وإعطاء الفرص المتكافئة لجميع أبناء الشعب ، ومنح النابغين من أبناء الشعب مجانية كاملة بالمدارس الثانوية فالعالية ، وتنويع المدارس الثانوية صناعية وتجارية وزراعية .

وأما المدرسون والنظار ، فيحول ذوو المؤهلات العالية منهم إلى التعليم الثانوى ، فهو في أشد الحاجة إلى أمثالهم ؛ وأما المدرسون العاديون الذين لا يصلحون للمدارس الثانوية فحبذا لو انتفع بهؤلاء نظارا لكثير من المدارس الأولية ، ومدرسين أوائل يشرفون على تدريس موادهم في المدارس الأولية الكبيرة .

ويجرنا الكلام على المدرسين إلى مدرسي التعليم الأولى أنفسهم ، وهؤلاء يجب على الدولة أن تهيء الأسباب لهم ليتقدموا ويوسعوا أفقهم وينشّئوا ثقافتهم ؛ [illegible] باقتراح الأستاذ محمد فريد أبو حديد بفتح مدارس معلمين ممتازة تلحق بها مدارس أولية نموذجية ، وهذه المدارس يصح أن تتخذ مراكز يختلف إليها على التناوب مدرسو التعليم الأولى الحاليون لتجديد معلوماتهم ورفع مستواهم بوجه عام ، على أن يشجع كل من يستجيب لداعي التطور والتقدم ويتسجم مع تيار الإصلاح ، ويستفيد من هذه الإجراءات لأقصى حد .

وبذلك الإجراء نستطيع أن ننتفع بهذا الجيش الجرار من معلمي التعليم الإلزامى ، ورفع مستواهم الفكرى بعد أن رفع مستواهم المادى . والأستاذ فريد أبو حديد على حق حين يقول بأن الجزء الأكبر منهم حسن الاستعداد ، وسيستجيب لمثل هذه الدعوة ، ويسير مع الثقافة المجددة ، ويرفع دعائم التعليم الأولى الموحّد لجميع طبقات الأمة بلا تفريق .

بذلك كله يصح لنا أن نأمل أيضا في توفير كثير من نفقات التعليم الأولى ، وندخر أموالا سنحتاج إليها في توسيع التعليم الثانوى والعالى ليتسع للنابغين ، الذين سيكشف منهم أو يكتشفهم هذا التعليم الموحد ، ويسلمهم بعده إلى التعليم الثانوى فالعالى لتتم الأمة تعليمهم على نفقتها . فهؤلاء هم الذين نطمع أن يؤسسوا جيلا من العلماء المجددين المبتكرين ، الذين يرفعون سمعة مصر بما يضيفون إلى التراث العلمي والثقافي من فيض علمهم ، ومن نتائج بحوثهم ؛ وما أشد حاجة مصر في نهضتها الصناعية والاقتصادية بعد الحرب بوجه خاص إلى أمثال هؤلاء !!

وبعد ، فقد كنا نحب أن نناقش بعض آراء الأستاذ محمد فريد أبو حديد الخاصة بأن الدولة مكلفة بأن تيسر لكل من أراد (حتى ولو كان متبلد الاستعداد) سبيل التعليم الثانوى فالعالى . ولكن القول قد طال في هذا المقال . ونحن مع ذلك لا [illegible] أن نقول كلمة إنصاف للأستاذ أبو حديد ، وهو أنه إذا قدر للتعليم الريفى أن ينجح في هذا البلد ويعود بالنفع والفائدة على الأمة ، فعلى التاريخ أن يسجل على صفحاته البيضاء ذلك المجهود الجبار ، الذى بذله رجال مدرسة المنايل الريفية ، وعلى رأسهم الأستاذ محمد فريد أبو حديد ، الذى بث فيهم من روحه ، وبذل لهم في سبيل الإرشاد قصارى جهده ، وما زال يجرب ويتعب ويجدد ، حتى وصل إلى وضع مناهج يصح أن تتخذ أساسا صالحا للبناء ، وخلق روحا هي وحدها التي ينمو فيها نظام كهذا .

وإنا لنرجو أن تصح البذور التي بذرها ، وأن يشجع الرجال الذين رباهم ، وأن تظل هذه التجربة سائرة في طريقها القويم ، وبروحها السليم ، حتى تستقر استقرارا يجعلنا نطمئن لتطعيم غيرها من المدارس ببعض من فيها من الرجال ، ليشع من المنايل نور جديد ، وروح عالية تعم القطر كله .

٢ – مستقبل الأدب العربي

هناك تفاعل تام بين الحالة الاجتماعية لكل أمة وأدبها، فالأدباء في كل زمان ومكان يؤثرون في مجتمعهم ويتأثرون به، ومميزاتهم على غيرهم أن لديهم نوعاً من الإلهام يدركون به شعور الناس وهو في طور تكوّنه، وفي حالة غموضه، فيعبرون عنه تعبيراً يكشفه ويجليه، فيتقبله الناس على أنه جديد وليس جديداً، وإنما كان كامناً في نفوسهم، ولولا ذلك ما استجابوا له؛ ولذلك كان الأدب أو المصلح إذا سبق زمانه بمراحل لم يُسمع لقوله، ويدخر الزمان نتائجه حتى يستعد لها الناس.

والأمم العربية الآن في حالة تكوّن جديد، بسبب ما ظهر لعيونهم من عهد ماض مملوء بالظلم والاستبداد والاستغلال، والجهل والفقر، وبسبب ما رأوا من أمم معاصرة تحيا خيراً من حياتهم، وتنعم حيث يشقون، وتعلم حيث يجهلون، بل ورأوا غيرهم يتمتع بخيرهم ويستغل ضعفهم وجهلهم، ويستخدم علمه ويقظته في امتصاص خيرهم؛ فلما بدءوا يشعرون بذلك كله بدءوا يطمحون إلى حياة أسعد من حياتهم، وينفضون عنهم غبار جهلهم وخمولهم، ويعدّون العدة للسير على منهج من سبقهم؛ وهذا — بالضبط — هو الزمن الذي يتمخض فيه — عادة — عن مصلحين تتبلور فيهم آمال الأمة، وأدباء يحدُون لهم ليجدّوا في سيرهم، ومغنّين يغنّون لهم بآمالهم، وفنانين يرسمون لهم مطامح نفوسهم.

ومن أجل هذا أتوقع أن تتمخض الحركة الأدبية العربية والحركات الفنية عن حملة اللواء لهذه الشعوب، فالرواية والشعر والقصص والمقالة والتمثيل والغناء والنحت والتصوير والرسم كلها تثير مشاعر الشعوب الغامضة، وتثير العواطف الجامحة ضد الظلم وضد الفقر وضد البؤس، وهذا لونها الحزين؛ ثم من وجه آخر تبعث الأمل وتدفع للعمل، وتبشر بالفوز، وتؤمل في الإصلاح، وهذا لونها البهيج.

لست أتوقع — ولا من الخير أن أتوقع — أن يقضى على أدبنا الحالي الذي يخدم المشاعر الفردية من غرام وشهوات جنسية وتحدُّث عن النفس ونحو ذلك؛ فالأمم التي سبقتنا لم يخمد فيها هذا الأدب، بل هو لابد منه في كل زمان ومكان، ولكن وجد بجانبه الأدب الاجتماعي الذي يخدم المصالح العامة، فكان من هذا وذاك جوقة كاملة منسجمة تجاوب نوازع النفوس المختلفة.

إن في كل أدب وفن الوضيع والسامي؛ وأسمى الأدب ما يُصلح حياة الناس ويُغْنيها، وخير كتاب أدبي ما إذا قرأته تلذذت من فنه، ثم يمدك بفنه ومعانيه على أن تكون خيراً مما أنت، بإثارة عاطفة الرحمة أو الشفقة عندك، أو عاطفة الجمال في الذات والمعنى والطبيعة، أو بإفهامك طبائع الناس كما هي، أو إعجابك بالخير وكرهك للشر، أو إشادة أي جانب من جوانب الحياة، أو أي قانون من قوانين الإنسانية، أو تهييج ضميرك ليحق الحق ويبطل الباطل، أو باستصراخك لنصرة العدل ومحاربة الظلم، أو نحو ذلك، فإن هو أثار عندك عكس هذه المعاني فهو الأدب الوضيع من وجهة النظر الاجتماعي مهما جاد فنه.

والأدباء من هذا القبيل السامي يحركهم نيل الغرض أكثر مما تحركهم المادة، وينتجون إجابة لداعي النفس أكثر مما ينتجون للتجارة، ويشعرون أنهم يتنفّسون بفنهم فإذا سكتوا اختنقوا.

لقد ثار الجدل عند الأدباء الغربيين حول الكتابة للمبدأ والكتابة للعيش، فكان يرى بعضهم أن الأدب الذي يستحق أن يسمى أدباً حقاً ما شعر الكاتب شعوراً باللذة لكتابته، لا ما كان سدّاً لحاجة، أو ملأً لخانة، ولا ما حُمل الكاتب على كتابته لا حباً في كتابته؛ لأن الأدب الحق وحي، والوحي لا يمكن القبض عليه وتحويله حيثما أراد الموحَى إليه، ليس هو كرة تدار، ولكن صوتاً عميقاً من النفوس يُسمع فيطاع.

ولكن ربما عدّ هذا غلواً في الرأي، فكثير من الآثار

الأدبية القيمة أُلفت تحت ضغط الحاجة إلى المال ، وبعض الأدباء ما كانوا ينتجون ما أنتجوا لولا بؤسهم المالي .

ومع هذا فإنا لا نشك فيه أيضاً أن نوع الأدب الذي وصفناه بالسمو والرفعة لا يصدر إلا عن شعور نبيل الغرض ، ودافع من حب خير الإنسانية ، لأن النوع الأول — وهو ما يكتب تحت الضغط المالي — خاضع لتحكم تجار الكتب وأصحاب المجلات في نظرهم إلى ما يروج وما لا يروج ؛ وخاضع لمسايرة الجمهور في ذوقهم وتملقهم والضرب على الأوتار التي يحبونها ، وتقديم الغذاء الذي يشتهونه ، ولو كان فيه السم الزعاف .

أما الكاتب الملهم ، الكاتب الذي ينفس بأدبه ، الكاتب الذي يكتب تحقيقاً لغرض نبيل عنده ، فينتج ما ينتج رضي ناشر الكتاب أو لم يرض ، أعجب الجمهور أو لم يعجب ، بل كثيراً ما يدفعه نبل غرضه أن يصب غضبه على الجمهور لغفلته وغباوته ، ولو أدى ذلك إلى رميه بالحجارة ، واتهامه بالخيانة ، لأنه يريد أن يسير الجمهور لا أن يسيّره الجمهور ، ويريد أن يجرعه الدواء ولو مراً لا الحلو ولو سُمّاً ، ويريد أن يكون قائداً للعامة لا مقوداً بشهوات العامة .

ومن أجل هذا أتوقع متى نما هذا النوع الرفيع من الأدب أن تتبدل هذه النغمة الصارخة في أدبنا ، وهي نغمة تملق الجماهير ، وتملق الشباب ، وتملق الشهوات الجنسية ، فنسمع أصواتاً تنقد النقد الحر الجريء ، ولو أدى بصاحبه إلى البغض والكراهية والاضطهاد . إن الناس ألفوا أن يروا صورة ضيق نظرهم ، وسعة شهواتهم ، وقداسة تقاليدهم ، معكوسة على النتاج الأدبي ، فإذا لم يجدوها عند الكاتب كرهته العامة ولم يقدره إلا الخاصة ، وقليل ما هم . كم في حياة الأمم العربية من عيوب لا تصلحها حلاوة السكر ، ولكن مرارة الصبر ، ولا يصلحها الملق ، ولكن تصلحها الصرخة القاسية ؛ وهذا لا يكون حتى يكون الأديب مؤمناً بعقيدته ، مؤمناً بغرضه ، يفضل الفقر مع المبدأ على الغنى مع الملق ، وهو ما أرجو أن يكون .

* * *

ثم أتوقع أن يستمر الأدب العربي في نموه من الناحية التحليلية ، تحليل الأشخاص وتحليل الظواهر الاجتماعية وتحليل العواطف الإنسانية ، وهكذا ؛ ذلك لأن الأدب العربي كان إلى عهد قريب تغلب فيه النزعة التركيبية من أمثال الأمثال ، والحكم والتوقيعات ، والرسائل الوجيزة ، مما تصلح كل جملة منها لو حللت أن تكون كتاباً ؛ فلما اتصل الأدب العربي بالأدب الغربي تأثر من هذه الناحية ، فدخلت فيه النزعة التحليلية إلى حدّ ما ، وكل الظواهر تدل على أنها ستنمو فيكمل فيه النوعان : النوع التركيبي والنوع التحليلي ، كما سيتضح فيه النوعان : النوع الفردي والنوع الاجتماعي . فأرقى الأدب في نظري ما كملت فيه النزعتان الفردية والاجتماعية ، واستوت له الناحيتان التحليلية والتركيبية . والأدب العربي غزير فياض في الناحية التركيبية والفردية ، ناقص في الناحية التحليلية والاجتماعية ، وهذا صدى لنوع الحياة الاجتماعية التي يحياها العرب ، فإذا تغيرت — وأرجو أن تتغير كما نحن مشرفون عليه — تلوّن الأدب بلونها ، وغنّى الغناء الذي يتفق ومشاعرها .

* * *

وناحية أخرى سيتجه إليها الأدب العربي لا محالة ، وهي « أدب الطبيعة » ، فكم في بقاع الأمم العربية من بحار وأنهار ، وأزهار ، وجبال ، ووديان ، وحقول ، ونحو ذلك من مناظر فاتنة تنتظر من يتغنى بها ! وذلك يكون حيث ينمو الشعور بالجمال في هذه الأمم ، وقد عاقها في الماضي والحاضر عن هذا بؤسها وفقرها ، ووقوعها تحت نير الظلم والاستبداد ؛ ومن عدم القوت نظر إلى الرغيف ولم ينظر إلى باقة الزهر ، ومن قيّده القيد الثقيل طمح إلى فك أغلاله قبل أن ينظر إلى العالم وجماله . فما تقدم عليه الأمم العربية من نعيم بخيراتها ، واسترداد لحريتها ، ونظر صادق لمعالجة شؤونها ، سيرفع مستواها ، سواء في ذلك حالتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية ، ونتيجة

هـذا أن يجعلها تفكر في العالي، وتسمو إلى الاستمتاع بالجمال، فيدرك الأدباء بإلهامهم — الذي يسبق الزمن ببعض خطوات — أن الأمة تتطلع إلى أناشيد الجمال، وتطمح إلى من ينشد قصائد الغنى بجمال الطبيعة في شتى نواحيها، فينشدون والنـاس تتغنى بأغانيهم، وتردد أناشيدهم لأنها تجاوب مشاعرهم.

نعم، إن في الأدب العربي كثيرا من شعر الطبيعة من عهد امرئ القيس إلى اليوم، ولكني أتطلع إلى نوع جديد في أدب الطبيعة — إن شعر الطبيعة في الأدب العربي أفسد كثيرا منه الفن الصناعي، وفهم الشعراء أنهم كلما أجادوا التشبيه والاستعارة جادوا شعر الطبيعة، من مثل قول الشاعر:

ولاح هلالٌ مثل نونٍ أجادها
بجاري النضار الكاتب ابن هلال

وقول الآخر:

وردٌ بدا يحكي الخدود، ونرجس
يحكي العيون إذا رأت أحبابها

ونبات باقلاءٍ يشبه نوره
بلق الحمام مشيلة أذنابها

وقوله:

وكأنما البركة اللألاء تحفّها
ألوان ذاك الروض والزهر
بُسط من الديباج بيض فرزوت
أطرافها بفــــراوز خضر

وكثير من أمثال هذا، فهذا ما لا أريده ولا أعنيه، ولا أعدّه إلا نوعا من البهلوانات التي تأخذ العين ولا شيء وراءها. إنما أريد بأدب الطبيعة أحد أدبين: أدب يفنى فيه الأديب في الطبيعة كما يفنى الصوفي فيها، ويذوب كما يذوب السكر في الماء، فيتناغم هو والطبيعة، وتنسجم نبضات قلبه بنبضاتها، ويشعر أنه هو وهي شيء واحد، وينتشي من ذلك نشوة دونها نشوة الخمر والوصال، فإذا انتشى فنّى بجمالها فمس روحك وأمدك بنشوته، وشعرت بأنه يجذبك إلى الجمال، حتى تحس ما يحس، وأنه أثر فيك بروحه وفنه أكثر مما أثر بلفظه وتشبيهاته ومجازه؟

وهذا النوع من الأدباء يتطلب فناؤهم وذوبانهم الميل أكثر ما يكون إلى الجمال الواسع — إن صح هذا التعبير — كجمال البحار والصحراء، والسماء، والحقول الفسيحة ونحو ذلك، لأنها أقدر بسعتها على امتصاص نفوسهم الواسعة؛ أو أدب يتشرب الطبيعة لا تتشربه الطبيعة، فهو يحتفظ بشخصيته، ولكن يحققها ويوسعها بالطبيعة يتضمن جمالها، وهؤلاء أميل إلى الجمال المحدود كجمال الزهرة وجمال الصورة وجمال جدول الماء، وهم لاحتفاظهم بشخصيتهم يفضلون ما يذوب فيها على ما يذوبون هم فيه، بل قد يشعرون بالضيق للجمال الواسع، لأن شخصيتهم تتضاءل أمامه، وتصغر بجانبه، وقد يرون فيه الجلال لا الجمال؛ وعلى كل حال فإذا تذوقوا هذا الجمال المحدود، يفرحون بأنفسهم، ووسعوا به مشاعرهم، أخرجوه بروحهم وفنهم أدبا جميلا حيا يحيي من سمعه.

وسواء هذا النوع أو ذاك، فكلاهما يرفع مستوى الشعب ويرقى شعورها بالجمال، ويكون لذلك أثره الكبير في رقي الخلق ورقي الحياة الاجتماعية، بل إن ذلك يدركون أن الكذب والظلم والجبن قبيحة قبح المناظر المؤذية، والصدق والعدل والشجاعة جميلة جمال الأزهار والبحار والأنهار والنجوم، فيتعاون الشعور بالجمال والقبح مع إدراك المنفعة والضرر، وفي هذا ما يرفع الأمة درجات.

كم في الشعوب العربية من يزور مغاني الجمال فيستمتع بها؟ ومن يخرج إلى البساتين في الربيع فيهتز قلبه لها؟ ومن رتّب في بيته الزهّار كما رتب الخباز والقبان؟ ومن يهمه جمال بيته كما يهمه همّ بطنه. إن جمال الشرق وفير متنوع، ولكنه لا يجد العين التي تنظره، والروح التي تتفتح له. ولا يفتح العين ويفتح القلب إلا أدباء ملهمون يفقهون الناس على سر الجمال، ويهزون نفوسهم لتذوقه.

بقيت مشكلة يواجهها الأدب الآن، وسيواجهها غدا، نعرض لها في المقال الآتي إن شاء الله.

أحمد أمين

الخـــط العربى

مزاياه وعيوبه

نتكلم بعد هذه المقدمة على مزايا الخط العربى وعيوبه . ونقدم لمقصودنا المقدمات الآتية :

١ — الكتابة المثلى هى التى يدل كل منها على صوت واحد دلالة واضحة ؛ لاتدل بالحرف على أكثر من صوت ، ولا تضع للصوت الواحد أكثر من حرف . ويقول كاتب مقال ألف باء (alphabet) فى دوائر المعارف البريطانية(١) :

«لا كتابة تبلغ المثل الذى نطمح إليه ، وإن كانت فلا تستمر طويلا على هذه الحالة لأن أصوات معظم اللغات فى تغير مستمر ، ولا سيما الحركات ، ولهذا لا يستطاع ضبط ألفاظ اللغات الميتة ، ولا الصيغ المهجورة من اللغات الحية» .

وهذه الدعوى صادقة فى [illegible] أخرى ، ولكنها تقابل بالريبة إذا وجهت إلى اللغة العربية ، وليس هذا من صميم موضوعنا . ويقول الأستاذ كاتب المقال أيضاً :

«وقد دلّ تاريخ الهجاء على أنه لم يحدّد قط لغة من اللغات الأوربية تحديداً دقيقاً ؛ لأنه عارية استُخِفت مع شىء من التسامح لتدل على أصوات تخالف ما دلّت عليه من قبلُ خارج أوربا» .

فهذه شكوى الأوربيين من الهجاء الذى استعاروه من الساميين . وهذا وصف الأبجدية فى الجملة .

وإذا نظرنا إلى أكثر اللغات الأوربية انتشاراً بيننا : الإنجليزية والفرنسية ، رأينا عجباً عجيباً من التخالف بين ما يلفظ وما يكتب ، وبين ما يكتب وما يقرأ ؛ حتى ليذكر القارئ ما يقال عن مستملى أبى عبيدة أنه كان يسمع غير ما يُملَى عليه ، ويكتب غير ما يسمع ، ويقرأ غير ما يكتب . ويكاد يتمثل بقول القائل :

أقول له زيداً فيسمع خالداً ويكتبه عمراً ويقرؤه بكرا

ترى حروفاً كثيرة تكتب ولا تلفظ . ولسنا بصدد الاستقصاء ، فحسبنا التمثيل : فى الفرنسية ، وهى أدق اللغات الأوربية لفظاً وكتابة فيما يقال ، يلفظ الحرف C كالكاف أحياناً وكالسين أحياناً باختلاف ما يتلوه من حركة ، والحرف S يلفظ كالسين أحياناً وكالزاى أحياناً . ومعنى هذا أن للحرف الواحد أصواتاً مختلفة ، وللصوت الواحد حروفاً مختلفة . وتختل القاعدة فى نطق C ، S أحياناً فيضعون علامة لتلفظ C كالسين ، فإذا قلت leçon Français أى درس فرنسى ، لزم أن تميّز الحرف C بهنة صغيرة ليدل على الصوت المطلوب . وتقول il donne أى يعطى ، فتكتبها على هذه الصورة ، وتقول أيضا ils donnent أى هم يعطون ينبغى أن تكتبها كازى الخ ، فاللفظ واحد ، والمعنى مختلف [illegible]

وتجد صوتاً مثل é فى الكلمات Palet ، Palais ، Craie ، Crêt ، وصوتاً مثل o فى الكلمات Pot ، Pose ، Pause ، Chause ، Chaud .

وأما الإنجليزية فقد بلغ فيها الاختلاف بين اللفظ والرسم أن معاجمها ترسم الكلمة كما تُرسم اصطلاحاً ، وترسمها بين قوسين كما تلفظ . وحسبى أن أذكر كلمة neghbour أى جار ، و daughter ، أى بنت . ومثل هذا كثير . بل تكتب أحياناً حروف بعينها تقرأ على وجهين تبعاً للمعنى ، مثل read إن كانت مضارعاً لفظت بكسرة صريحة ممدودة ، وإن كانت ماضيا لفظت بكسرة ممالة قصيرة .

ومن أجل ذلك يلزم أولادنا الإنجليزية فى المدارس على أن يحفظوا هجاء كل لفظ معه . وإذا سألت إنساناً فى لندن عن اسمه أو سألته عن اسم شارع أجابك باللفظ والهجاء غالباً ، علماً بأن اللفظ لا يدل على الهجاء .

(١) وهو الأستاذ Peter Giles .

وليس الأمر كذلك في الهجاء العربي ، فأنت تُملى الكلمة التي لا يفهمها السامع فيكتبها كما تملى ، وقلَّ أن يخطئ فيما عدا مواضع الإشكال من الهمزات ونحوها . وكثيرا ما أمليت على طلاب الجامعة نصوصاً فارسية وتركية فأصابوا في الكتابة وهم لا يعرفون الكلمات . ومع هذا سمعنا استنكارا كثيرا للألف التي ترسم بعد واو الجماعة ، وتزاد في واو عمرو ، وبقى الرسم الأوربي مصونا من استنكارنا بالدول والأساطيل والطائرات ، والهيبة والفتنة اللتين تأخذاننا من كل جانب .

وقد حُدثت عن الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني العالم الفارسي الذي أقام في باريس زمنا طويلا ، أنه كان يكتب « القزويني » على شكل وتأتيه رسائل يرسم فيها « القزويني » بأشكال أخرى ، فيأبى عمال البريد أن يسلموه الرسائل حتى اضطر إلى أن يسجل شكلا رسم به اسمه ، ويوقع به . فالناس من الحروف [illegible]

وأذكر أنه جاءت إلى كلية الآداب [illegible] الدكتور طه حسين بك فيما أذكر — دعوة إلى التوحيد [illegible] بين أمم الأرض ، فتفاوضنا في الأمر واتفقنا أن يكون الرد : ادعوا الأمم الأوربية إلى توحيد كتابتها أولا ، فإن استطاعوا هذا نظرنا في مشاركة الأمم الأخرى إياهم في طرائق الكتابة .

٢ — ثم الناس لا يقرءون الكلمات حرفاً حرفاً ، ولكن يقرءون صورا مركبة ، وقد يقرأ الإنسان الكلمة مرات ولا يبصر ما فيها من غلط لأنه لا يمر على الحروف واحدا بعد آخر ولكن ينظر إلى الصورة ، فإذا وجد الصورة التي اعتاد رؤيتها أو قريبا منها فهم ما وراءها . وقد أمكن رصد البصر أثناء القراءة فإذا هو لا يسير سيرا متصلا متلاحقا ، بل يثب بين الكلمات وثبات ، ويقف وقفات تختلف باختلاف الكلمات . فالدلالة على الألفاظ في جملتها بصور لا بحروف ؛ ولو كتبت لإنجليزي nabar بهذا الشكل ما فهمها ، فإذا رسمتها على الشكل الذي لا يدل عليها لم يتردد في فهمها .

٣ — فالمثل الذي يُطمع فيه هو أن يكون للكتابة اصطلاحات معروفة محدودة ، سواء أدلت على ألفاظها بالجملة أم بالتفصيل . ولا بأس بالاصطلاح على حروف تزاد في الكتابة وليست ملفوظة ، أو تنقص منها وهي ملفوظة ، إن دعا إلى هذا تطور الكتابة أو تيسير القراءة أحيانا ، أو دلالة على أصل الكلمة .

٤ — هذا هو الحد الذي لا تؤدي الكتابة مقاصدها دونه ؛ ومن وراء هذا مزايا منها اليُسر والوضوح والجمال والاختصار أو الاقتصاد ، وهي مزايا تتفاوت فيها الخطوط وسأعود إلى الكلام فيها .

الخط العربي :

فلننظر بعد هذه المقدمات ، في الخط العربي لنرى ما فيه من محاسن وعيوب . كان الخط العربي في صدر الإسلام ، كالخطوط السامية الأخرى ، غُفلا من الإعجام والحركات ، ثم أعجموه ففرقوا بين الحروف المتشابهة بالنقط ، ثم احتاجوا إلى ضبط حركات الحروف فوضعوا الشكل ؛ ولست في مقام تاريخ الإعجام والشكل فتاريخهما معروف ، وإن احتاج إلى البيان فليس مما يهمنا الآن . غير أني أقول إن الذي وضع الشكل العربي ، الرجل المخترع المبتكر ، الخليل بن أحمد ، أخذ بعض الحروف فدل بها على الحركات كما فعل اليونان حين أخذوا الخط من الساميين . فدل على الفتحة بألف فوق الحرف ، وعلى الكسرة بياء تحته ، وعلى الضمة بواو أمامه ، ولم يدخل هذه الحركات في ثنايا الكلمات . فهل أحسن بهذا أم أساء ؟ أكان يسرنا أن الخليل جعل الحروف والحركات سواء كما يعمل في الخطوط الأوربية ؟ أحسب ، والعلم عند الله ، أن الخليل قد شعر في هذا بما شعر به مخترع الحروف السامية ، وما فعل كتاب اللغات الساميات من قبل ، شعر هؤلاء كلهم أن اللغات السامية لغات ثلاثية الأصول ، تفرق بين

الأصل والزائد تفريقاً بيّناً ؛ وهي كذلة الاشتقاق ، تضع المعنى حروفاً ثلاثة ، ثم تخلق تروع هذا المعنى من حركات هذه الحروف وسكناتها ، وهذا التغيير في الحركات والسكنات لتشقيق الألفاظ الكثيرة لا يعرف في اللغات الأخرى التي نعرفها ، سواء عدّت من اللغات المشتقة كاللغة الفرنسية والفارسية ، أم عدت من المركبات كاللغة التركية .

ففي الفرنسية نجد مادة مثل donn ثابتة في التصريف . فتقول في المصدر donner وفي المضارع Je donne أي أعطي ، وفي الماضي J'ai donné أي أعطيت ، وفي المستقبل Je donnerai ، وفي المفعول donné أي معطىً ، وفي الفاعل donnant أي معطٍ . وكذلك في الفارسية إذا أخذت المصدر المخفف « داد » من دادن أي الإعطاء فهذا أصل التصريف الماضي والمستقبل ، وإذا أخذت الأمر « ده » فهي أصل بقية الصيغ . والتركية وأخواتها أبين في ثبات المادة على التصريف ، وعلى [illegible] « ياز » من المصدر يازمق أي الكتابة [illegible] شيء في كل الصيغ التي تصاغ منها .

فالمواد في هذه اللغات ثابتة أو كالثابتة لا تتغير صورها بكتابة الحركات .

أحسب الساميين من أجل المحافظة على هذا الأصل والتمييز بينه وبين الحركات رسموا حروف الكلمة دون حركاتها . ومن أجل هذا كتب علماء اللغة في المعاجم مادة الكلمة حروفاً مفردة ، لأنها لا يمكن أن تركب بغير حركة ، وهم أرادوا أن يدلوا على الأصل وحده دون غيره . ولو أنهم كتبوا الحركات أثناء الكلمة لاختلفت صور المادة الواحدة اختلافاً كثيراً ، مثل كاكا ، كوتيبا ، كيتابان ، يكتاب كوتوبون (كتب) . وشد ما أعجبني قول أحد المستشرقين وقد فاوضته في هذا : إن هذا الأصل الثلاثي أو المثلث الأفلاطوني كالمثل الأفلاطونية ، حقيقة ذهنية ثابتة لا تتحقق في الخارج ، ولكن تظهر أفرادها ، كما أن مثل أفلاطون تتصور في الذهن ولا تتحقق في الخارج .

طبيعة اللغات السامية ، ولا سيما العربية ، أكثرها وأكملها اشتقاقاً ، تأبى أن ترسم الحركات أثناء الكلمات . فقد أحسن الخليلُ ، واضعُ المعاجم العربية وواضعُ العروض العربي ، حين رسم الحركات خارج الكلمات . وقد أحسن الخليل حين أبقى كتابتنا مختصرة توفر على الكاتب وقته ، وتكاد تمكن اليد الكاتبة من مساوقة اللسان الناطق ، وتيسّر الحفظ لمن يشاء ، وأبرأ لغتنا من الاضطراب والتناقض اللذين يدركهما من يمارس اللغات الأوربية .

أخذ الفرس الحروف العربية وزعموا بها لغتهم ومادخلها من ألفاظ عربية . فوجدوا أن أصواتاً عندهم ليس لها دلائل في الحروف العربية ، فكتبوها بأقرب الحروف إليها ، ثم ميّزوها بالنقط والخط فزادوا على صور العربية پ چ ژ گ ثم كتبت بعض اللغات المتدينة بالحروف العربية ، [illegible] بالحروف الفارسية وزيد عليها من الصور ما يلائمها . [illegible] صوتين في الفاء والدال والراء ، فجعلت علامة تميز أحد الصوتين من الثاني ؛ وجعلوا الياء الراجعة ، وهي التي ترسم مدتها إلى الخلف ، علامة الإمالة ، وهم والفرس يسمونها الياء المجهولة .

ولما كتب الترك بالحروف العربية ، والترك أقوام كثيرون لهم لهجات مختلفة متباعدة الأقطار ، زادوا على هذه الحروف ما زاده الفرس ، واختلفت طرائقهم في رسم الحركات أثناء الكلمة ؛ ولكن كان الاتجاه العام إلى كتابة علامات الحركة أثناء الكلمة في مواضع كثيرة ، وسبب هذا فيما أظن . قوة الحركة وأثرها في اللغات التركية خاصة ، واللغات التي تشاركها في الأصل عامة ، وهي اللغات التي تسمى اللغات الأورالية الألطائية . في هذه اللغات قاعدة الانسجام ، وما يعبر عنه الفرس والترك بكلمة آهنگك ، ويسميه الفرنسيون harmonie هذه القاعدة تقضي أن الكلمة إذا بدئت بحركة ثقيلة

عناصر إعاني

ترغب إلىّ مشكورة ، كوكبة من ذوى النفوس الكريمة ، فى أن أوافيها على صفحات هذه المجلة الرقيمة ، بمقال أسبوعى ، وهنا أسأل قائلة : وما هو هذا المقال الأسبوعى ، فأجيب : إنه فى عقيدتى التحدث إلى معشر القارئات والقراء الكرام . وإنى لأعرف أن الحديث الذى يصدر من ناحية واحدة لا يكون جدّ شائق أو ممتع فى أغلب الأحيان ، وعليه أؤمل أن يتكرموا بتبادله معى ، ولهم عهدى أن أفضى إليهم عما يدور فى رأسى ، ويخالج نفسى ، ما سنحت لى الفرصة ، وواتتنى حالة الصحة المتعثرة ، راجية أن يفيدونى بكل ما يعنّ لهم فيه ، آملة أن يعيننى الله على قضاء حقوق برّهم بى .

ولكنى أرى لزاماً علىّ قبل كل شئ ، أن أورد اليوم طائفة من الأمور التى أؤمن بها وأعدها من الأشياء التى أحتويها وأحمدها . وأكبر ظنى أن [illegible] من يزاولون تحرير المقالات المتطلبة من الثقافة [illegible] والقدرة الكتابية ، وانتهاء الكمال إليهم فى طول الباع وغزارة الاطلاع ، ولا أتردد عن المجاهرة بأنى لم أدرك إلا نذراً من العلم والمعرفة ، وإن كنت لا أدخر سعياً فى التحصيل ، وأستقصى الذرائع كى أوفق على الغاية ، وأتكل فى الرأى السديد ، والنظر الحكيم . وعسى أن أسوق من حين إلى آخر ، وجوه النجح التى توخيتها لتحقيق هذه الغاية المقدسة ، ونواحى الظفر التى ارتدتها لأتم المراحل فى الحكمة العاملة ، والقول السداد الرشاد . أما الآن فأبادر إلى الحديث عن عناصر إعانى على سرده فأقول :

إنى أؤمن بأن مصرنا الفتاة كيفما تكن النتائج التى يستتبعها لها جوّها السياسىّ ، ستحافظ على سلامة أوضاع الحكومة الملكية الدستورية الصحيحة ، وتعمل على توحيد الصفوف ، وتستزيد قسطها من الديمقراطية والمساواة والحرية ؛ وأؤمن أن مصرنا ستمعن فى المحافظة على الحرية وتحرص على احترام تلك الديمقراطية لتكون أمام الفرد [illegible] ويجب أن نذكر على الدوام أن التعصب السياسى والحزبى والسلالى ، ينبت فى البيت ، ويمكن

أو خفيفة اطّرد الثقل أو الخفة فى حركاتها وحركات لواحقها ، وثقلت أو خففت الحروف التى تحتمل الترقيق والتفخيم تبعاً لها . فلم يكن غريباً أن يحسّ الترك بخطر الحركة فى لغتهم ورسموها . ولكن قواعد الرسم لم تطّرد عندهم ؛ فتجد فى الكتب القديمة مثل ديوان سلطان ولد ابن جلال الدين الرومى ، وهو أول ناظم بالتركية القريبة : كُنَش (الشمس) وبَقمَز (لا ينظر) ، وتجدها فى الكتب المتأخرة كونش وبقماز ، ثم باقاز . ثم رسم الترك ، قبل هجر الحروف العربية بسنين قليلة ، الحركات كلها فى أثناء الكلمة إلا ما يحتاج إلى بيان كحركات الضمائر ، فكتبوا نه مېز (نظيف) آرقاداش (رفيق) ، حتى الكلمات العربية الأصل مثل قادرا (قَدَر) . وسار بعض الترك فى أوربا أبعد من هذا ، فلم يدعوا حركة إلا صوّروها أثناء الكلمة ، لافرق بين عربية وتركية ، ومن أمثلة هذه الطريقة مجلة رسّلى يول التى يصدرها الأديب عياض إسحاق .

والحق أن الترك حين تركوا الحروف العربية واتخذوا الحروف اللاتينية لم يكونوا مدفوعين بالحاجة كما دُفعوا بالثورة على كل قديم ، والغرام بالانقطاع من أقوام والاتصال بآخرين . ولو كان الأمر إصلاحاً فقط لوجدوا فى الطريقة التى انتهوا إليها صلاحاً . ولو لم يكن فى الأمر إيثاراً للحروف اللاتينية لأنها لاتينية لفكروا فى اتخاذ الخط الروسى مثلا وهو أقرب إلى لغتهم ، فى ظنى . وقد كتبت به بعض اللهجات التركية من قبل ، كما كتب بعضها باليونانية ، والأرمنية .

عبد الوهاب عزام

احتياله من البيت ؛ وأؤمن أن الضمان الاقتصادى يشمل دائماً أو ناكمن السياسة النظامة التي تعرض الحرية الشخصية للخطر ، وأن المساواة في الفرصة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُضمن للفرد ، وأن هذه المساواة ذاتها يجب أن تكتسب اكتساباً بالسعي والجدّ والتفوق . وما دام في مقدور سيدة واحدة أن تفوت جارتها في صنع الكعكة الواحدة ، التي تتفق في تحضيرها مع هذه الجارة بالطريقة الموصوفة لكلتيهما على حد سواء ، فلا بد أنها تتيح لأسرتها تناول كعكة أفضل من التي تأكلها أسرة جارتها .

وأنا أؤمن بأن الأسرة هي أعظم مقومات المجتمع ، وأن الزواج فن عال ، ومهمة خطيرة ، وأن الروابط الزوجية الصالحة المنتجة تتطلب الإيثار والتضحية بالنفس ، والتساهل والتسامح ، والقوة الحيوية والشجاعة ، وغالبية الصفات العليا التي تحلَّى بها الجنس البشرى منذ الأزل .

وأنا أحب الأطفال ، وأؤمن بأنهم ملائكة الأرض تنقصهم الأجنحة ، ولا أميل إلى الناس الذين يقولون إنهم لا يحبون الأطفال ، أو إن الصغار كالكبار فيهم الظريف وفيهم غير الظريف ، وأعتقد أن هذا القول لغو ، فإن للأطفال ذلك الاستعداد المكشوف القابل للائتلام والعطب ، كسائر الكائنات والأشكال التي يمكن تكييفها وصوغها .

وأنا أحب الحدائق من بدء الربيع إلى آخر الصيف .

وأنا شخصيا أوثر المشى على امتطاء صهوة الخيل والتجوال في عربة أو سيارة ، وأوثر السباحة على الركض ، وبالاختصار أنا أحب الألعاب الرياضية ، لأني أؤمن بأنها تمكن الإنسان من معالجة الصعاب برحابة صدر وتسامح . وأحب تمضية بعض الساعات في جو حافل بضروب اللهو البرىء الصحى .

وأحبّ الصوت الجميل ، وأحب ذوات الشعر الكستنائي ؛ ولا أحب الضوضاء والجلبة والبائعات اللواتى يحاولن أن يحملننى على ابتياع القبعات التي لا تلائم شكل وجهي بما كيدانهن المستفيضة لى أنها من أجمل ما يليق بى ، ولا أميل إلى السيدات اللواتى يقلن مع كل كلمة يوجهنها إلىّ : « يا عزيزتى » . ولا أميل إلى أهل الشكوك « اللاأدريين » ، ولا إلى الناس الذين يثقلون أعناق كلابهم المدللة بالسلاسل الغليظة حين يوثقونهم في حدائقهم الزهرية لحراستها .

ولا أرتاح إلى الناس الذين يعتقدون أن التكلف في الأبهة والكياسة يدعوهم إلى كراهة كل شيء ، ويرون أن السذج الدهماء هم الذين يسخون في امتداح شخص عادى أو رواية تمثيلية بسيطة ، أو منظر طبيعى مألوف .

وأنا أحب التسامح والإحسان والوئام ، وأحاول أن أتجنب التحامل على الذين يفتقرون إلى هذه الشمائل الحسان .

ولا أحب في الناس تلك الخصال التي تجعلهم يبدون المجاملة والإكبار للأشخاص الذين من طبقتهم الاجتماعية فقط .

وأعتقد أن الحصيد الذهبى والأشجار الشيخة بديعة ، كالأشجار الفتية والأغراس الصغيرة .

وأعتقد أن الجو إذا أوغل الإنسان في بحث خواصه وحالاته يصلح لأن يكون موضوعاً بهيجاً للمحادثة .

وأنا أكره في الناس إفراطهم في التأدب حين يديرون بين فكيهم لساناً أحلى من الشهد يطرقنا بألفاظ معسولة ، ظاهرها مغر وباطنها محجوب عما يتعقبونه لها من المجاملات المذبة ، التي تشتبه علينا وجوه الرشد فلا ندرى كيف نتخلص من مجاملتها .

ولى كلف بتجاذب أطراف الحديث في الشئون الشخصية التي يكثر وصفها في المجالس ، وينتشر ذكرها في سامر الرفيقات والأتراب ، ويكثر في غضونها مثل هذه الأسئلة : « ترى ما الذى يعيبها في نظره ؟ » ولماذا افترقا أو لماذا لم يصرحا لابنيهما بالانتظام في سلك التعليم العالى ؟ وليس ذلك لأنى ذات نشوة للأخبار (أى أتخيرها أول ورودها) ، أو لأنى أستمرئ مضغ لحوم الناس ، أو أتفكه باغتيابهم . فإنى أستعيذ بالله من حصائد اللسان وإطلاقه

بالوقيعة والذم ، وهو عليم بأنى أريد بجمعة القلب والفكر أن أستقرئ دقائق النفس البشرية وأستجلى غوامضها ، وأحاول أن أتفهم صعابها وخصائصها ، وأحيط بشاذها ومقيسها ، وأرجع كل مايبدو من مركب النقص والتعقيد فيها إلى أصوله ، رجاء أن أظفر بتهذيب هذه النفس التى بين الجوانح ، بعد أن أفدت من دراسة النفس البشرية علما ونظرا .

وأنا لا أومن بأن العمل يجب أن يكون ضربا من ضروب اللهو ، بل إنى لأومن إيمانا جازما بأن الشعور بإنجاز العمل ، والكد لإتمامه ، وامتزاجهما باللذة والفائدة ، يصيران مشقتهما راحة وهناء لا مثيل لها ، ولذلك أشفق على الناس الذين لا يعملون ولا يكدون .

وأنا أومن بأن من أهم الشئون التى لا نرصد لها أعظم جهودنا وقوانا كشعب نعيش فى الحياة هى الشئون الآتية :

— تحسين الصحة العامة ، وإصلاح حالة الفلاح المصرى الصحية أولا ثم الاقتصادية ... الفلاح على تيسير كل ذرية صحية للفرارى الضعيفة لينشأ لنا جيل قوى صحيح البدن .

— نشر مراكز الوقاية من الأدواء الوبيئة التى يمكن منعها ، مثل التدرن والالتهاب الرئوى والزهرى .

— محاربة الأمراض التى لا يزال علاجها معضلا كالسرطان والشلل فى الأطفال والاضطرابات العقلية .

وأومن بأنه يجب علينا كشعب أن يبدى السخط على كل بادرة من بوادر الخيانة والغدر والغش ، ونقاومها ونمحقها .

وأنا عادة لا أومن بالتأديب بالجلد ، ولكننى أنصح بممارستها لمعاقبة ذلكم المجرمين الذين يصيبون بجناية القسوة فى الأطفال .

وأنا أدين بالإيمان وأتمسك بمزاياه المتعددة ، أتمسك بعرى الإيمان الدينى الذى يحفزنى إلى مراقبة أوامر الله تعالى ، وأتمسك بعرى الإيمان الدنيوى الذى يفيض ثقة بالحقوق البشر ، ويحملنى على أداء حقوقهم ، لأنه الإيمان الذى يؤكد لى أن جذوة الخير كامنة فى البشر ، ولأنه الإيمان الذى أشارك فيه عمانوئيل كنت القائل : إن أبدع شيئين فى العالم هما السموات المرصعة بالنجوم فى الليل ، والإحساس بالواجب فى النفس الإنسانية .

وأنا أومن بأن الحرب هى إفلاح الكبير القاسية المدمرة ... للحضارة ، ولكنى لا أومن بأننا نستطيع القضاء عليها بالاحتجاج والتشجيع على أصحاب معتملات المهمات الحربية ، أو بتحريض شباب العالم أجمع على كراهيتها ، بل يجب منعها وهى بعد جرثومة متأصلة فى بذور التحامل والتحزب والتعصب الجنسى . وأنا أومن بأن نساء العالم من اللواتى يستطعن القضاء على تلك الجرثومة . الزهرة

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر	٤٥ فى مصر والسودان
	٣٧/٥ للطلبة ومعلمى الإلزام
	٦٠ فى الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد
	٧٥ فى الممالك الخارجة عن اتحاد البريد

ثمن العـــدد ١٥ مليما

في الليل

سمعتك الليلة تحدث صديقك عن تلك القرية التي ذاع في أهلها أن الشمس لن تشرق بعد، وأن الظلام من الغد سيغمر وجه الدنيا فلا تضحك الزهرة، ولا يلمع في الساقية خيال جميل — وقرأت في عينيك أنهما تودعان شمسها التي لن تشرق؛ خلفتاها وراءهما إلى غير لقاء، فما بهما من ابتسامة، وما بذبولها من ألم؛ بلغتا آخر الطريق ولم تسلكاه بعد، فهما باردتان، كالليل، كالشعاع الذي انطفأ.

لقد تعبت نفسك من العدم. أنا أعرف أنها شاخت في طفولتها لأنك أفسدت خصبها وأذريت مع الريح قوتها. أنت تعرف ما بك من طموح. ما بك هو الكبرياء اللاهبة والعطشان النبع الدافق إلى أن ماءه لن يغيض، ولقد كانت تطلب الحب حتى نسيت أن تحب [illegible] السراب تركض إليه، يقتلها الظمأ ولا [illegible] ماء النبع ولكنه تغلغل في شعب الرمل، وغار من جديد في بطن الأرض، وتلاشى حتى الكبرياء فلم يبق إلا عجوز العدم — وها أنت الآن تهرب من نفسك إلى الطريق؛ إنك لا تطيق أن تنظر إليها في عريها، وأن تتأمل الجدب الذي انتهى إليه وهم الخصب. تهرب منها إلى زحام الناس، فإذا امتزجت بضوضائهم خيل إليك أنك تموت من اللوم وهنئت لحظة بالنسيان، وشغلت بهذا الخدر المغري عن الوحل الذي ارتطمت به.

هذا التشاؤم الجدب أريد أن أحاربه في نفسك.

التشاؤم هو ألا تستطيع البكاء حين تريد أن تشتري به حياة جديدة، ضاحكة رغم الدموع. وددتك لو تستطيع أن تبكي! أي شيء في الحياة أحلى من عبرة على خد رجل، تعيد النشاط إلى عينيه، وحرارة الخفقة إلى قلبه، وتدفعها عنا لفترة عابرة من حياته لم يعش فيها إلا حياة الناس! الدموع توبة المؤمن إذ يعود إلى نفسه يستغفرها ليحقق كمالها في فرح عميق! حينئذ تكون لديه القوة الكافية ليدفع الحياة بيده، وليفرض قدره على الكون.

التشاؤم هو أن تحتجب ذكرى الماضي أمام جهامة الحاضر، فتمضي معها ذاتك في سلبية عقيمة ميتة، وينعدم الشعور بالألم. وددتك لو تستطيع أن تذكر! إذن لينجيك من صغارك الوعي بالصغار، وليستيقظ فيك من ماضيك خصبه الرائع وآماله الثرة الواثبة.

تستطيع الليلة أن تملأ رئتيك من نسيم الفجر، وأن ترقب طلوع الشمس من مشرقها. إنها ستطلع بلا ريب، لأنها لا تحتجب إلا لمن يغمض من دونها بصره. والمهم هو ألا تحرج أنت لاستقبالها كأنك لم ترها قبل اليوم. ثم عد إلى صديقك الذي تحب وعانقه في عنف الشعر أنك أصبحت جديراً به. وحينئذ يكون التشاؤم قد [illegible] نفسك الحياة الخصبة؛ وعنفك كل [illegible] أسراب الشكوك [illegible] يبتسم.

نزيه الحكيم

مختارات من إمرسن

في اليوم الخامس والعشرين من مايو من عام ١٨٠٣ وألف ولد إمرسن في مدينة بوستن بأمريكا لأب من رجال الدين . وبعدما تخرج في جامعة هافرد اشتغل بالتعليم ، ولكنه لم يلبث على هذه الحرفة طويلا ، بل التحق بإحدى الكنائس قسيسا كأبيه . ولما كان يميل بطبعه إلى حرية الفكر ، فقد أخذ يذيع على الناس خلال عظاته مبادئ ثورية لم تتفق وما كانوا فيه يعتقدون ، فاشتد سخط العامة عليه ، وتبرمهم به ، حتى اضطر إلى الاستقالة من عمله ثم رحل إلى أوربا والتقى بكبار كتابها وشعرائها ، وتعرف إلى كولردج ، ووردزورث ، وكارليل . وعاد بعدئذ إلى أمريكا واشتغل أستاذا بجامعة بوستن ، وألقى كثيرا من المحاضرات العامة التي لفتت إليه الأنظار . وحينئذ أدرك الناس أن بينهم أديبا كبيرا [illegible] الفكر ، وقوة تدفع الرأي الأمريكي [illegible] إمرسن في عام ١٨٨٢ ، بعدما اعترف [illegible] بالصدارة في الأدب ، والزعامة في الفكر .

كان إمرسن عميق الفكر ، ولكنه لم يكن فيلسوفا بما تحمل هذه الكلمة من معنى . لم يكن فيلسوفا له مذهب خاص وطريقة خاصة ، بل إنه كثيرا ما يناقض نفسه فيما يكتب وما يقول . وأشهر ما خلف لنا هذا الكاتب العظيم «مقالاته» و «كتاب الطبيعة» و «خصائص الإنجليز» الذي نشره إثر عودته من زيارة انجلترا ، و «نماذج الرجال» الذي صاغه على صورة كتاب كارليل «الأبطال وعبادة البطولة» ؛ وله فوق هذا بعض المقطوعات الشعرية الرائعة .

ومن النقاد من يعتقد أن «نماذج الرجال» خير ما كتب إمرسن . في هذا الكتاب تخير إمرسن تلك الشخصيات البارزة التي كان يراها نماذج للبشرية . ولو ألقينا نظرة عاجلة على من كتب عنهم من الرجال عرفنا كثيرا عن مبادئه في الحياة . لم يشتمل كتابه على رجل من رجال الدين أو رجال الأخلاق والإصلاح الاجتماعي ، إذ لم تكن له ثقة بأمثال هؤلاء من عظماء الرجال . الأبطال عند إمرسن هم أفلاطون الفيلسوف ، وسودنبرج المتصوف ومونتيني المتشكك ، وشكسبير الشاعر ، ونابليون رجل الدنيا ، وجيته الكاتب .

يقول عن أفلاطون إنه كان يرى العلم والفضيلة شيئا واحدا ، لأن الرذيلة لا تستطيع أن تعرف نفسها وتعرف الفضيلة ، في حين أن الفضيلة تعرف نفسها كما تعرف الرذيلة ، ثم يقول كذلك : «ليس في العالم في وقت واحد أكثر من اثنى عشر شخصا يقرأون أفلاطون ويفهمونه . وليس من بين هؤلاء من يستطيع أن يشترى نسخة واحدة من مؤلفاته . ومع ذلك فإن هذه المؤلفات تنحدر من جيل إلى جيل من أجل هذه القلة من القراء ، كأن الله يحملها لهم بين يديه» .

[illegible] كلامه عن مونتيني : «من ذا الذي [illegible] إن الإنسان لا يستطيع في مشكلة واحدة من المشاكل أن يصل إلى حل حاسم قاطع لا يتطرق إليه الشك . . . إننا نشك في نظام الزواج ، وفي الدولة وفي الكنيسة ، كما يشك الشاب في الطريق التي يسلكها لتكوين مستقبله . . .» .

وكان شكسبير لديه نموذج الشاعر الذي يرى للشجرة منافع غير الثمر ، وللغلال فائدة غير الخبز ، وفي الكرة الأرضية شيئا أكثر من أرض تفلح وطريق تمهد .

ونابليون عنده مثل أعلى لرجل العمل والتنفيذ ، الذي طهر الجو من أدران الإقطاع والامتيازات والملكية المستبدة . أجل ! لقد لجأ نابليون إلى حشد الجيوش وإلى العنف والقوة ، وهي — عند إمرسن — وسائل محفوفة تبررها الغاية النبيلة .

وفيما يلي مقتطفات مما كتب إمرسن اخترناها من

تراثه الأدبي ، ونقلناها إلى اللغة العربية لعل فيها حافزاً إلى الاستزادة لمن أراد مزيداً .

* * *

الجماعة الإنسانية لا تتقدم . إنما هي ترتفع في جانب وتنحط في جانب آخر ، وتسير سيراً ظاهرياً أشبه ما يكون بسير العجلة الدائرة . وهي لا تفتأ تتحول من حال إلى حال ، فهي آونة همجية وحشية ، وآونة أخرى متمدنة متحضرة ، يسود فيها الدين مرة والعلم مرة أخرى . وليس هذا التغير إلى الخير دائماً ؛ فنحن كلما كسبنا شيئاً خسرنا شيئاً آخر . تظفر الجماعة بفنون جديدة ، ولكنها تفقد فعل الغرائز القديمة . ما أشد التباين بين الرجل الأمريكي في ثياب فاخرة ، يقرأ ويكتب ويفكر ، ويحمل في جيبه ساعة وقلماً وصكاً مالياً ، وبين الرجل من أهل زيلندة الجديدة عاري الجسد ، أداته العصا والرمح ، ليس له سوى جزء من عشرين من حظيرة البستان تحت [illegible] هلا وازنت بين صحة الرجلين ؟ [illegible] أن الرجل الأمريكي الأبيض قد فقد قوة [illegible]

روى لي مسافر — إن صحت روايته — أنك لو ضربت الرجل المسجي بفأس غليظة التأم جرحه بعد يوم أو يومين ، كأنك تضرب الفأس في القار . ولو أنك أهويت بمثل هذه الضربة على الرجل الأبيض لشيعته بها إلى قبره .

* * *

يؤثر الكاتب في عقول الجماهير بمقدار ما عنده من عمق التفكير . فالكاتب الذي يستمد موضوعه من أذنه ولا يستمده من قلبه ينبغي أن يعلم أنه يخسر بمقدار ما يربح ... لا تقوم الشهرة الأدبية على الحظ ، فإن أولئك الذين يصدرون الحكم النهائي على الكاتب ليسوا هؤلاء القراء المتحيزين الصخابين الذين يضجون للكتاب عند ظهوره ، إنما هي محكمة كأنها من الملائكة ؛ هو جمهور لا يرتشي ، ولا يُتوسل إليه ولا يُروَّع ؛ ذلك الجمهور هو الذي يقرر شهرة الكاتب . ولا يبقى من الكتب إلا ما يستحق البقاء . فالغلاف المذهب والورق الصقيل والجلد المتين وقسيم الهدايا الفاخرة التي تقدم الكتاب ، كل أولئك لا يكفل للكتاب المطبوع إلا إلى أمد قصير .

* * *

كل شيء مزدوج ، هذا يقابل ذاك ، دقة بدقة ، العين بالعين ، والسن بالسن ، والدم بالدم ، والحب يقابله الحب . أعط يعطك الله . من سقى غيره ماءً لم يشك العطش . إن أردت شيئاً فلا بد أن تدفع الثمن . إذا لم تغامر لم تكسب شيئاً . جزاؤك يكافئ عملك ، لا يزيد ولا ينقص . من لا يعمل لا يأكل . ألق بنفسك إلى التهلكة تهلك . اللعنة تقع على رأس من يستنزلها . لو أنك أستعبدت رجلاً وطوقت جيده بسلسلة من حديد فإن طرف السلسلة الآخر يطوق جيدك كذلك . المشورة السيئة تعود على [illegible] هكذا [illegible] وهذه هي الحياة ، فإن قانون الطبيعة [illegible] أعمالنا ونحن راغمون .

* * *

بلوغ الحق هو الغرض من الحياة . ولكنك إن وجهت التفاتك إلى ناحية واحدة من الحق ولم تشغل نفسك إلا بتلك الناحية أمداً طويلاً ، فإن الحق يتشوه ولا يعود حقاً ، وإنما ينقلب إلى البهتان والزور . والحق في هذا يشبه الهواء ؛ وهو عنصر ضروري للحياة وبدونه لا يكون التنفس . فإنك إن تعرضت لتيار شديد مدة طويلة أصبت بالبرد والحمى ، وقد يؤدي بك هذا التيار الشديد إلى الفناء . ما أشد الخطأ يقع فيه الرجل إذا تعصب لعلم النحو ، أو النفس ، أو السياسة ، أو الدين أو لأية ناحية من نواحي المعرفة ! إنه يفقد التوازن بالمبالغة في موضوع واحد ، وهذا لون من ألوان الجنون .

* * *

ويقول عن الإنجليز : فى كل ناحية من نواحى النشاط العملى تراهم يضارعون خير الأمم ، فليس هناك سر من أسرار الحرب لم يبلغوا فيه حد الإجادة . إن آلة (وَتْ) البخارية ، وقاطرة (ستيفن) ، ومصنع (روبرتس) للقطن تقوم بالعمل للعالم أجمع . ليس فى الأدب ناحية ، ولا فى الموسيقى ، ولا فى الفن المفيد ضرب من الضروب لم يخرجوا فيه كتابا من خير الكتب . إنما هى إنجلترا التى يتطلع الناس إلى رأيها فى الحكم على كل مخترع جديد أو علم مستحدث . وفى مشاكل التجارة والسياسة فى إمبراطوريتهم الواسعة كانوا أكفاء لكل مأزق بصواب الرأى وحسن السلوك . فهل هذا هو حظهم أم هو فى تركيب عقولهم ؟ . إنما تلك ميزتهم الطبيعية : تراهم يلمحون كل ضوء يشع من أى رأى جديد أو مخترع حديث . هم أسرة يتعلق بها مصير الأمم ؛ وقد قيل عنهم إنهم لايعدمون أبداً الوريث الذكر . لديهم ثروة من الرجال تملأ الوظائف الهامة ، وتنبه النفوس الحرة عندهم يكفل لهم دائما حسن اختيار الرجال الأكفاء .

وتتجلى قوة الإنجليز فى عدم التطفل ، فيكاد كل منهم لايلتفت إلى الآخر . كل منهم له طريقته الخاصة يسير ويأكل ويشرب ويلبس ويتحرك فى أية ناحية دون الرجوع إلى الواقفين من حوله ، ولا يهمه أن يتدخل فى شأنهم أو يضايقهم . وليس معنى الواقفين من حوله هذا أنه ينشأ على إهمال أمين الجيران ؛ إنما هو مشتغل بشئونه الخاصة ولا يفكر فيهم . إن كل إنسان فى هذا البلد المهذب لايستشير غير ضميره ... إنى لأعرف بلدا يسمح فيه إلى هذا الحد بالحرية الشخصية التى لا تهم أحداً غير صاحبها . يسير الإنجليزى والطريق بهم مدوارا يلوح بمظلته القفلة كا يلوح بعصا السير ، ويلبس شعرا مستعارا ، وقد يضع على ظهره سرجا ، أو يقف على رأسه دون أن يتصدى له أحد بإبداء الملاحظة . وقد مارس هذه العادة أجيالا عدة حتى باتت فى دمائه .

وله قصيدة عنوانها « الوداع » هذه ترجمتها :

وداعا دنيا الغرور ، فإنى إلى بيتى سوف آوى
لستِ من أصدقائى ولستُ من أصدقائك
كم قاسيتُ بين جموعك المهوكة
وكم قد ركبت متن بحارك فى زورقى
وطوحتْ بى أمواجك كا تطوح بالزبد !
أما الآن ، يادنيا الغرور ، فإنى إلى بيتى سوف آوى
وداعا وجه الملق الذليل
وداعا أيتها العظمة الكاذبة
وداعا أيتها الثروة الخلابة
وداعا أيها السلطان المغرى ، وضيعا كنت أو رفيعا
وداعا أيتها القاعات المزدحمة ، وأيتها الساحات والطرقات
وداعا أيتها القلوب الباردة وأيتها الأقدام المسرعة
وداعا أيها الذاهبون وأيها القادمون
وداعا دنيا الغرور فإنى إلى بيتى سوف آوى

....

سآوى إلى نار موقدى
وأميل على ظهر تلك التلول الخضراء
إلى ركن خفى فى أرض بهيجة
خطط أحراشها الجن فى مرح وحبور
حيث المعطفات المشوشبة
طوال النهار تردد غناء الطيور
حيث الأقدام الوضيعة لم تطأ قط
هذا المكان المقدس عند المؤمنين

....

آه متى أطمئن فى بيتى هذا بين الأحراش !
حينئذ أتعالى على صلف الرومان والإغريق
وحينما أتمطى تحت أشجار الصنوبر
عندما يشرق نجم السماء المقدس
فسأضحك من حكمة الإنسان ومن كبريائه
ومن مذاهب السفسطة وجماعة العلماء
فما كل هؤلاء ؟ وفيم غرورهم الشديد ؟
إذا كان الإنسان قد يلاقى الله بين الأشجار !

محمود محمود

أدب الأسبوع ...

« هذا رأيي وعليَّ تبعته وحدي .... »

رأى الموظف!

أنا موظف... نعم، وعامل من عمّال الدولة، فرضتْ الدولة على خازنها أن يدفع لي كذا وكذا في كل شهر أجرةَ عملي، هو لي بحق العمل الذي أعمل، أو بحق التعاقد الذي بين الحكومة وبيني. وإني لأعمل، أعمل كل ما تكلّفني الحكومةُ عملَه، أو ما تكلّفني نفسي، والحكومة أمر وسلطان يتناول وظيفتي فيما يتناول، ولها رأيٌ ومذهب...

وأنا إنسان، نعم، إنسان يملك بحق الإنسانية أن يكون له فيما يعمل رأيٌ ومذهب، فإنه ليكلّف العمل يوافق رأيه ومذهبه أو لا يوافق! فأين حدّ الإنسانية في هذا الوضع من حدّ الوظيفة؟... هل لي، وأنا الموظف، العامل الأجير، أن أقول في بعض ما أكلّف من العمل، أو ما يكلّفه غيري من الموظفين: هذا العمل يوافق رأيي ومذهبي، وهذا لا يوافق؟...

لست أسأل أهل القانون، فإن رأى القانون صريح في هذا الشأن، وإنما أسأل نفسي، وما سألتْ نفسي قطّ هذا السؤال قبل اليوم ولا دار في خاطري، ولو قد دار في خاطري يوماً لما استطعتُ أن أكون هذا الكاتبَ الذي يعرفه القراء منذ بضع عشرة سنة، أو لَمَا بقيتُ ذلك الموظف... فإن القانون المصري يحرّم على الموظف أن يكون من أهل الرأي، وأن يكتب في الصحف، وأن يتحدث إلى الناس في الشئون العامة... وإني لأزعم أني من أهل الرأي، ولست أستطيع أن أعطّل قلمي عن الكتابة، أو أعطّل لساني من الحديث إلى الناس في الشئون العامة، ولكنني موظف...!

أتُرى القراء في مصر وفي غير مصر من بلاد العربية يعرفون هذه الحقيقة أو ينكرونها؟... وهل يعرفها طه حسين، وأحمد أمين، وأحمد زكي، والكرداني، والقباني، وخلاف، وفريد أبو حديد، وزكي مبارك، ومن لا أذكر من أصحاب الرأي وأهل الأدب في هذا البلد؟... وهل تعرف الحكومة المصرية أن هؤلاء الموظفين الذين ذكرتُ أسماءهم قبلُ وعشرات، بل مئات غيرهم، يزعمون أنهم من أهل الرأي، ويكتبون في الصحف، ويتحدثون إلى الناس في الشئون العامة — لا يُقيمون وزناً لذلك القانون الذي فرض على الموظفين في مصر أن يكتموا الرأي ويعطّلوا الأقلام ويعقلوا الألسنة عن الحديث في أي شأن من الشئون العامة!

وكيف تكون الحال لو تنبهتْ الحكومة إلى واجبها في هذا الشأن — بعد طول الصمت — فعمدتْ إلى [illegible] القانون وحاولت أن تعطّل تلك الأقلام وتعقل [illegible] هذه الأفواه؟

ذلك القانون وضعه واضعه منذ... منذ كم؟...

فإنه ليخيّل إليّ أن هذا التاريخ المرقوم في ديباجة ذلك القانون العتيق لم يَبْعُد لينبغي اليومَ إلا ليكون سخرية منا، نحن الذين نزعم أننا في عصر قد بلغنا فيه من فهم معنى الحرية والدعوة إليها مبلغاً يحملنا في كثير من الأحيان على المباهاة، والفخر، و...، والتبجّح!

أين نحن اليوم من ذلك العصر الذي وُضع فيه ذلك القانون؟ وأين دستورنا السياسي من ذلك الدستور الذي كان؟ وأين حكامنا من أولئك الحكام؟... ولكن ذلك القانون لم يزل، ولم تتنبه حكومة من الحكومات المتعاقبة في مصر منذ عشرات السنين إلى إبطاله، ولعل بعضها ينتبه إلى تطبيقه!!

قال لي قائل: ذلك قانون نسخه الزمن، ولعلك حين تذكره اليوم ألا يكون في مصر من يذكره غيرك؛ فقد

بطل حكمه وإن بقى رسمه ، فما حديثك عنه وقد تعطل معناه ؟

قلت : ولكنها كرامةُ مصر ! ومن يدرى؟ فلعلك تسمع غداً أن « نائباً محترماً » قد وقف يستجوب الحكومة فى البرلمان لأنها سمحتْ لطه حسين الموظف فى وزارة المعارف أن يكتب فى الصحف مقالات ذات صَدًى فى معنى « العدالة الاجتماعية » ، أو يخطب فى المحافل العامة عن التعليم والحرية !

قال : ولكن هذا من حديث السياسة !

قلت : وأين الحد الفاصل بين ما هو من حديث السياسة وما ليس من حديثها ؟ ومتى يباح للموظف أن يتحدث ومتى يحرم عليه ؟ وأين تسمع الرأى الحر فى شأن من الشئون العامة إن حرّمتَ الرأى على أهل المعرفة ، وأين تجد الأحرار من أهل الرأى والمعرفة إن كان أهل الرأى فى مصر لا يجدون سبباً إلى العيش – على الأغلب الأعم – إلا فى وظائف الحكومة؟!

... نعم أنا موظف ، عامل مأجور من عمال الدولة ؛ ولكنى إنسان ، أملك بحق الإنسانية أن يكون لى رأيى ومذهبى ؛ وأنا وطنىّ ، أملك بحق الوطنية أن يكون لى فى شئون بلادى العامة قولٌ صريح . ذلك حقى الذى فرضته لى قوانين الطبيعة ، فليس يملك أن يحرمنى إياه قانونُ الإنسان ! ...

... نعم أنا موظف ، أعمل للحكومة برأيها فى حدود الوظيفة وواجباتها ، ولكن لى فوق ذلك رأى الإنسان الحر ، والمواطن الحر ؛ فإذا اقتضتنى واجبات الوظيفة يوماً أن أعمل عملاً لا يوافق رأيى ومذهبى ؛ فإن علىَّ يومئذ أن أختار بين الوظيفة وبين الحرية ؛ بين لقمة العيش ، وكرامة الإنسان الحر !

جريمة موظف !

وفى الحكومة قانون يُحرّم على الموظف أن يشتغل بالتجارة ... قالوا : ويدخل فى معنى التجارة أن يبيع للحكومة كتاباً من تأليفه ... فلو أن عميد كلية الآداب – مثلا – قد وضع كتاباً فى التاريخ ، أو الجغرافيا ، أو الاقتصاد السياسى ... ورأت وزارة المعارف أن تشترى منه ألف نسخة لتُودعها مكتبات المدارس ينتفع بها المعلمون والتلاميذ ، لما جاز أن تشتريها من عميد كلية الآداب ، صاحب الكتاب ومؤلفه ، وإنما تكتب إليه تسأله : أين يُباع هذا الكتاب ؟ ... ويحتال المؤلف لإتمام الصفقة ، فيتفق على وجهٍ ما مع ناشر من الناشرين فيدفع له النسخ المطلوبة ، ليبيعها باسمه للحكومة ويقبض عنه ثمنها فيدفعه إليه وله جُعْل ... فإذا لم يفعل المؤلف ذلك لم تتمّ الصفقة – إلا على وجه الإطلاق – لأن الموظف يُحرَّم عليه أن يشتغل بالتجارة!!

وضحكتُ حين عرفتُ ؛ ولم أملك حين سمعتُ هذا الحديث إلا أن أضحك ؛ فهذه الحكومة التى حرّمتْ على الموظف أن يبيع لها كتاباً من تأليفه ، لأن ذلك نوع من التجارة ، تعرف معرفة اليقين أن هذا الكتاب الذى تشتريه هو من تأليف فلان الموظف ، فإن كانت التجارة المحرّمة هى البيع والشراء ، فلعلها تعرف معرفة اليقين كذلك أن هذا المؤلف الموظف إن لم يكن هو الذى باع لها الكتاب ، فإن الناشر الذى باعه قد اشتراه من ذلك المؤلف ، الموظف ، فقد كان ثمة بيعٌ وشراء على أى حال ، وكانت تجارة ؛ أفما كان حق القانون الذى التزمته فى هذه الصفقة يُلزمها أن تعاقب ذلك الموظف لأنه ألّف كتاباً فباعه فى السوق ؟... بلى ، وما كان أحرى أن يقدَّم إلى المحاكمة التأديبية طه حسين ، وأحمد أمين ، وفلان ، وفلان ، وفلانون ، من أهل التأليف والتحقيق الذين تملأ مؤلفاتهم خزائن المكتبات وقماطر التلاميذ فى مختلف المدارس ؛ وتكون تهمتهم أنهم باعوا كتباً ، أو بتعبير آخر : تكون تهمتهم أنهم مؤلّفون ... وتكون

وزارة المعارف هى شاهد الإثبات فى الدعوى ... ! !

... أم ترى الحكومة تظن أن المؤلف حين يؤلف كتاباً إنما يهبه للناشر حسبة لله فلا يقتضيه ثمناً ولا يأخذ منه مليما فليس ثمة بيع ولا شراء ولا جرعة ؟ ...

... فهذا أيضاً قانون ، قانون مسطور نافذ لم يبطل حكمه ولم يتعطل معناه . أجِدٌّ ذلك أم هزل ؟

لعل ذلك الشارع الحكيم الذى شرع ذلك القانون منذ أزمان كان يرى بحكمته إلى معنى يغيب عن فطنتنا حين حرَّم على الموظف التجارة ؛ وأين هذا من التجارة ؟ ..

ألم يكفِ المؤلفَ المصرىَّ ما يلقى من طاغية الناشرين فى مصر حتى ليكاد يكون لهم كل النفعة فيما يبذل المؤلف المصرى من جهد ولا يناله منه شىء إلا الشهرةُ تكاليفها ، والشهرة تكاليف مادية تُغرى باستكثار الناشر فى غير فضيلة ! !

ألم يكفِ المؤلفَ المصرىَّ أن يكون [illegible] الحكومة القوانين لتزيد الناشرين سلطاناً عليه [illegible] يفلت من أيديهم ؟

وهل يكون ذلك لوناً من الاعتراف بالأدب الذى نريد أن يؤكد لمصر زعامتها فى البلاد العربية ويمكّن لها ؟

وليكن هذا لوناً من التجارة ؛ فلماذا يحرم على الموظف أن يتاجر ؟ يخشون أن يستغل سلطان الوظيفة فى التجارة ؟ فهل أمنوا أن يستغل ذلك السلطانَ لأخيه وأبيه وعمه ، والناطور الذى يتاجر باسمه إن كان يريد التجارة ويخشى سطوة القانون ؟

تلك أمور لا يعصم منها إلا الخُلق ، وليس القانون منها إلا لغواً أو مغالطة أو سخرية ، أو تعبيراً عن معنى من سوء الظن بصورة خُلق الموظف المصرى تصوراً لا يُشرّف مصر حين تُذكر أخلاقُ الشعوب !

«قارئ»

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسى رقم ٩ بعابدين — بمصر